# سيكولوجية الوجع المصرى (٢) ثقافة الحوار والاختلاف

**إن صحة أى مجتمع ونماءه كما حيويته وقوته تتوقف على حيوية فكر ويقظة وعيه، وقوة طاقاته وحسن توظيفها. وتجمع الأدبيات والأبحاث على أن قوة المعرفة هى اساس بناء المجتمعات، وأن درجة الوعى ويقظته هى الضامن لنفاذ الرؤى وفاعليتها واتساع أفقها، لاستيعاب الحاضر وقضاياه، واستشراف المستقبل ومتطلبات صناعته أو لم يصبح من البديهيات أن المجتمعات التى تفشل فى توظيف طاقاتها البشرية الحية، تتقهقر إلى مواقع الشعوب المستغنى عنها؟ الشعوب المستغنى عنها حضارياً وأخلاقياً واقتصادياً واجتماعياً وبطبيعة الحال تكنولوجياً و هناك صفتان تميزان ممارسات الحاضر هما: التسارع وعدم التأكد، كل شىء يتسارع سواء على مستوى التحولات السياسية أو الاقتصادية، أو على مستوى التطور العلمى والتقنى. لاشىء فى السياسة والاقتصاد والاجتماع يبقى على حاله.**

كما أن عمر التقنيات فى تناقص مستمر، فلا تنشأ تقنية وتنزل الأسواق، إلا وتكون التقنية التى تتجاوزها أو تنقضها كى ترثها أصبحت جاهزة فى المختبرات والأسواق. وذلك هو شأن تسارع نمو المعرفة البشرية: إننا تجاوزنا مسألة التراكم البطىء والمستمر، كى ندخل فى عقد الثورات بل الطفرات فى كم المعلومات ونوعها، ومناحيها المختلفة هذا من ناحية ومن ناحية أخرى نجد أن هذه التسارعات قد أصابت العديد من مظاهر السلوك الإنسانى فى أشكاله التواصلية والتفاعلية، فأصبح التواصل بين الأشخاص عبارة عن ومضات خاطفة سرعان ماتنفض وتزول، وأصبح التواصل مقصوراً على الشخص دون الاعتراف بالآخر ، ذلك الآخر بمكنوناته وآرائه وأسلوبه فى الحياة

أما انعدام التأكد فهو السمة الثانية المميزة لعصرنا الراهن. لقد ولى عصر اليقينات الثابتة فى كافة أوجه الحياة . السياسة والاقتصاد والاجتماع . كما فى العلم. كل شىء أصبح قابلاً للتحول والتبدل فى مفاجآت متلاحقة، لم تعد هناك ضمانة لشىء أو لإنسان، أو حتى لنظام سياسى أو اجتماعى أو سواه. أكثر الوقائع ذات الثبات والرسوخ الظاهرين تتحول وتتقلب من حيث لانتوقع وهو مايفسر لنا جانبا من جوانب اسباب قيام الثورات من حولنا ومن هنا جاءت التحولات والتغيرات فى السلوك الإنسانى وأهم هذه التحولات: الخلل المدرك من الجميع فى عمليات التواصل والتفاعل بين الأشخاص بعضهم البعض، وتقدير الآخر والحوار مع الآخر المختلف...

وإذا كنا نتحدث عن ثورتنا السياسية كمرحلة تاريخية نمر بها جميعا، فلابد أن نتحدث أيضا عن الثورة الأخلاقية والسلوكية والتواصلية فى نفس السياق، فهما جزءان متكاملان ومتوازيان كما عهدتهما الشعوب والحضارات الإنسانية عبر سلم التطور الإنسانى والتاريخى، فنجد التطور الاخلاقى والإنسانى جنباً إلى جنب مع التطور التكنولوجى والمعلوماتى، وبمقدار التمسك بهما يتحدد معدل التطور ويحتاج الإنسان للتواصل والاختلاف والاستثارة والحيوية من خلال المحن، وبدونها يتعرض لآثار سلبية كبيرة مثل المرض النفسى والوحدة والخوف والانعزال، تماما كما تتوجه النباتات نحو الضوء، فنجد البشر تتوجه نحو الاستثارة والقرب من الآخرين.

والتواصل الإنسانى أحد أهم الطرق لتوفير مثل هذه الاستثارة ونحن ككائنات إنسانية . راقية

بقلم:
محمد محمود القاضى

. لدينا حاجات واهتمامات كثيرة كلها تشد الاستثارة. كأن نستمتع بممارسة الرؤية والتأمل والسمع، وكذلك بالتفكير والحوار والمناقشة وبالرياضة، والسرور والضحك والبكاء أحياناً. وفى بعض الأحيان تحد الثقافة من ممارسة هذه الإنفعالات لسبب أو لآخر، ولكن علينا أن نعبر عنها بحرية ودون خوف أو تجنب ونحتاج للاتصال بالآخرين . أيضاً. لأن هذا يتيح لنا معرفة أنفسنا من خلالهم. وإدراكنا لذاتنا يتأثر . إلى حد كبير . بما نعتقده فى رأى الناس فينا، فإذا كان أصدقاؤنا يرونا دافئين وكرماء ، فسوف ننظر إلى أنفسنا هكذا فى الغالب. ويتيح لنا الاتصال بالآخرين معرفة ذواتنا من زوايا متعددة سواء بالمقارنة بيننا وبين الآخرين وفى جوانب مختلفة من شخصياتنا ومواقفنا، أو من خلال استجابتهم لنا فبالاتصال بالآخرين يمكن أن نزيد من تقديرنا لذاتنا وقيمتنا، ونشعر معهم بالحياة والجدوى منها، ويتوقف هذا على فاعلية ونوعية الأشخاص الذين نتواصل معهم، ونوعية العلاقات بيننا وبينهم فإذا كانت علاقات مشبعة مع أشخاص يحملون لنا التقدير والدعم والاحترام فلاشك أن صورتنا عن ذاتنا سترتقى إلى الأفضل وكل منا لايستطيع أن يعمل أو يعيش دون اتصال من نوعا ما( مع الآخر) والسؤال هنا هو كيف يتواصل أو يسلك مع هذا الآخر؟ وهل هو واع بما يجب أن يكون؟ وما بالك إذا كان هذا الاخر مختلف عنى.

وهو ماسنتناوله لاحقاً انشاء الله.

# سيكولوجية التفوق لدي المرأة

فى الآونة الأخيرة ، وعلى وجه التحديد عند ظهور نتيجة الثانوية العامة ، لاحظنا أن البنات متفوقات تفوقا ملحوظا على البنين ، ما السبب ؟.... ولماذا؟

قد يعزي ذلك إلي طبيعة البنت - كأنثي - حيث إنها أكثر تركيزا في عملية المذاكرة والاستذكار . بالإضافة إلي وفرة الوقت لديها عن الولد ، كما أنها تتمتع بسمات شخصية كالمثابرة والالتزام أثناء الدراسة . وبرغم أن هناك تفوقا مرتفعا في محيط البنات عن الأولاد ،فإن ذلك لم يمنع أحد المشتغلين بعلم النفس التعليمي ، أن يؤكد رؤيته في هذا الشأن بأن الأولاد الذكور أكثر إيجابية ونشاطاً وبالتالي أعلي تفوقاً ونبوغاً ، وأكثر طموحاً وأشد عزماً وأصلب عوداً.

ومن المضحكات المبكيات في مجتمعنا المصري ، أن تفوق المرأة بوجه عام لا نذكره ، ونغض الطرف عنه.. لماذا ؟ .. لأننا مازلنا مجتمعا ذكورياً ، نقلل من شأن الأنثي ونهيل التراب علي أخبارها ونغفل إنجازاتها ، وكأني أسمع هنا أصداء صوت الشاعر المتنبي.

**وكم فيك يا مصر من المضحكات**
**ولكنه ضحك كالبكاء**

ويحضرني هنا خبر قرأته في صحفنا المصرية مفاده ، أن فتاة مصرية تدعي عزة إبراهيم تبلغ من العمر سبعة عشر عاما ، فازت بجائزة أوروبية عالمية وذلك بعد إكتشافها مادة تحول نفايات البلاستك إلي وقود ولم يشر إليها أحد من العاملين بالإعلام المصري لا من قريب أو من بعيد ، لماذا ؟.. لإننا مشغولون بالتفاهات والمظاهرات والاعتصامات وتخوين وتكفير الآخر . وفي لغة الحوار نتفوه بأقبح الكلمات والضرب باللكمات ،، وفي هذا الصدد يدلي بدلوه الفيلسوف المرموق الدكتور الزكي النجيب محمود أن البنت المصرية أكثر جدية ونضجاً من الولد المصري لسببين هما : أن قمع البنت منذ الصغر ، يشعرها بقلة شأنها ، والحط من قيمتها عن أخيها الذكر مما يحفز عندها طاقة التفوق والتريث فتشب أكثر وعيا وحذراً .

ويكمن السبب الثاني في أن البنت تعمل بغريزتها ، بينما يعمل الولد بعقله ، الغريزة قلما تخطئ ، بينما يخطئ العقل . وبلغة علم النفس نقول: إن الغريزة Instinct في معناها الأصلي ما هي إلا دافع حيواني وهي مشتقة من الكلمة اللاتينية Instinctus ، وهي محرك فطري بيولوجي، وللغريزة مصدر بيولوجي يمدها بالطاقة ولها هدف يشبعها ويفرغ طاقتها وعندما تفشل الغريزة في العثور علي هدفها أو إشباعها فإن ذلك يسبب الإحباط الغريزي Instinctive frustration ، وهنا ينفعل الأنا بزيادة التوتر الغريزي الذي يفوق في طاقته علي الاحتمال بالقلق .

ومن المعلوم سيكولوجيا أن السلوك الغريزي Instinctive behavior يعتمد - أساسا - علي الجمود والتحجر بعيدا عن محاولة تغيير أو تعديل السلوك ، أو إن شئت فقل بعيدا عن المرونة flexibility والمسايرة . هذا ويري بعض السلفيين الجهاديين المتشددين بغير علم الذين شددوا علي أنفسهم ، أن المرأة عورة وأنها وقود جهنم ، وهي - في نظرهم - كائن ناقص لا يفكر ولايبدع ، وأن مجابهة الحياة للرجال فقط وعلي النساء جر الذيول . فوظيفة المرأة الأساسية عندهم هي إمتاع الرجل جنسيا وخدمته ، والتفاني في إنجاب ذريته ، وتلك نظرية سوداوية ورؤية إفتئاتية ... ولله في خلقه شئون .

د. عزت عبد العظيم الطويل
أستاذ علم النفس
بكلية الآداب بجامعة بنها